

الجرذ والغراب



بقلم: ١. عبد الحميد عبد المقصود
بريشة: ١. عبد الشافي سيد
إشراف: ١. حمدي مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
تصميم وتنسيق
TATY - TATY - TATY
TATY - TATY - TATY

الجُرَذُ والغُرَابُ

لَمَّا رَأَى الغُرَابُ مَا صَنَعَهُ الجُرَذُ مَعَ الحَمَامَةِ المَطْوِقَةِ
وَأَصْدِقَائِهَا مِنَ الحَمَامِ ، وَكَيْفَ خَلَصَ الجَمِيعُ مِنْ أَسْرِ
الشَّبَكَةِ ، أَبْدَى إعْجَابَهُ الشَّدِيدَ بِالجُرَذِ ، وَرَغِبَ فِي مُصَادَقَتِهِ ..
وَلِذَلِكَ تَقَدَّمَ الغُرَابُ ، حَتَّى وَقَفَ قَرِيبًا مِنْ فَتْحَةِ الجُحْرِ الَّذِي
يَعِيشُ فِيهِ الجُرَذُ .. ثُمَّ نَادَاهُ ..
وَأَطْلُ الجُرَذُ بِرَأْسِهِ ، فَلَمَّا رَأَى الغُرَابَ وَاقِفًا أَمَامَهُ ، أَبْدَى
دَهْشَتَهُ قَائِلًا :

- مَنْ أَنْتَ ؟ وَمَاذَا تُرِيدُ ؟

فَقَالَ الغُرَابُ :

- أَنَا وَاحِدٌ مُعْجَبٌ بِإِخْلَاصِكَ فِي عَمَلِكَ ، وَوَفَائِكَ
لَأَصْدِقَائِكَ ، وَلِذَلِكَ فَأَنَا
أُرِيدُ مُصَادَقَتَكَ ..



فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْجُرَذُ مُتَشَكِّكًا وَقَالَ :
 - لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَوَاصُلٌ ، حَتَّى تَنْشَأَ بَيْنَنَا صَدَاقَةٌ ، كَمَا
 تَرَعُمُ ..
 فَقَالَ الْغُرَابُ مُسْتَنْكِرًا :
 - وَلِمَ ذَلِكَ ؟
 فَقَالَ الْجُرَذُ :
 - لِأَنَّ الْعَاقِلَ يَجِبُ أَنْ يَسْعَى إِلَى مَا يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَيَبْتَغِدَ
 عَمَّا لَا يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، فَأَنْتَ الْاَكْلُ وَأَنَا طَعَامٌ وَصَيْدٌ سَهْلٌ لَكَ ..
 لَا بُدَّ أَنَّكَ تَحْتَالُ لِكَيْ تَأْكُلَنِي ..



فَتَعَجَّبَ الْغُرَابُ مِنْ تَفْكِيرِ الْجُرَذِ وَقَالَ :

- إِنَّ أَكْلِي إِيَّاكَ لَنْ يُغْنِيَ عَنِّي شَيْئًا ، وَإِنْ مَوَدَّتْكَ وَصَدَّقَتْكَ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ .. وَلَيْسَ مِنَ الْكَرَمِ أَوْ الْحِكْمَةِ أَنْ تَرُدَّنِي خَائِبًا ، خَاصَّةً
وَأَنْنِي رَأَيْتُ مِنْ حُسْنِ خُلُقِكَ ، وَجَمِيلِ فِعَالِكَ مَا حَبَبَكَ إِلَيَّ ، وَرَغَبَنِي
فِيكَ ، فَجِئْتُ أَطْلُبُ صَدَاقَتَكَ ..
فَقَالَ الْجُرَذُ :

- وَمَاذَا رَأَيْتُ مَبًى ، حَتَّى تَسْعَى إِلَى طَلَبِ صَدَاقَتِي ؟
فَقَصَّ عَلَيْهِ الْغُرَابُ مَا رَأَهُ مِنْ قَرُضِهِ الشَّبَكَةِ ، وَتَخْلِيصِهِ الْحَمَامَةَ
الْمَطْوُوقَةَ وَرَفَاقَهَا مِنَ الْأَسْرِ ، وَخَتَمَ كَلَامَهُ قَائِلًا :
- وَإِنْ أَرَدْتَ إِخْفَاءَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يُخْفِي فَضْلَهُ ، وَإِنْ حَاوَلَ
إِخْفَاءَهُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ كَالْعِطْرِ الَّذِي لَا يُمْكِنُ أَنْ تُخْفِيَ
رَائِحَتَهُ الذَّكِيَّةُ ..



فَقَالَ الْجُرْدُ :

- إِنَّ الْعَاقِلَ يَجِبُ أَلَّا يَأْتِسَ إِلَى عَدُوِّهِ ، خَاصَّةً إِذَا كَانَ ذَكِيًّا مِثْلَكَ ..
وَقَالَ الْغُرَابُ :

- يَجِبُ أَنْ تُدْرِكَ بِعَقْلِكَ أَنَّيَ مَا جِئْتُ لِعِدَاوَتِكَ ، وَلَا قَصَدْتُ سِوَى
طَلَبِ وَدَّكَ وَصَدَاقَتِكَ ، فَلَا تُرَدَّنِي خَائِبًا ، وَلَا تُصَعِّبْ عَلَيَّ الْأَمْرَ
بِقَوْلِكَ : لَيْسَ إِلَى التَّوَاصُلِ بَيْنَنَا مِنْ سَبِيلٍ ..
فَقَالَ الْجُرْدُ :

- وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى صِدْقِ مَا تَقُولُ ؟!

فَقَالَ الْغُرَابُ :

- إِنَّ الْكَرِيمَ يَسْعَى إِلَى مُصَادَقَةِ الْكَرِيمِ وَطَلَبَ مَوَدَّتِهِ ، وَاللَّيِّمَ



لَا يُصَادِقُ أَحَدًا إِلَّا مِنْ أَجْلِ مَنَفْعَةٍ أَوْ مَصْلَحَةٍ أَوْ خَوْفًا مِنْهُ ،
حَتَّى يَتَقَيَّ شَرَّهُ وَعَدَاوَتَهُ ..

فَقَالَ الْجُرَدُ :

- هَذَا صَحِيحٌ ..

وَقَالَ الْغَرَابُ :

- مَا دُمْتُ تَعْلَمُ ذَلِكَ ، وَتَصِرُ عَلَى رَفْضِ صِدَاقَتِي ، فَأَنَا مُلَازِمٌ
لِيَابِكِ ، دُونَ أَنْ أَذُوقَ طَعَامًا ، حَتَّى تُخْبِرَنِي أَنَّكَ قَبِلْتَ صِدَاقَتِي
وَمَوَدَّتِي ..

فَلَمَّا رَأَى مِنْهُ الْجُرَدُ ذَلِكَ ، عَلِمَ أَنَّهُ صَادِقٌ ، فَقَالَ لَهُ :

- لَقَدْ قَبِلْتُ أَخَوَتَكَ وَصِدَاقَتَكَ ..

وَقَالَ الْغَرَابُ :

- وَلَكِنْ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقْبِلَهَا مِنَ الْبِدَايَةِ ، حِينَ عَرَضْتُهَا عَلَيْكَ ؟



فَقَالَ الْجُرْدُ :

- إِنَّمَا بَدَأْتُكَ بِمَا بَدَأْتُكَ بِهِ مِنْ صَدٍّ ، حَتَّى
لَا تَظُنَّنِي سَهْلًا سَرِيعَ الْإِنْخِدَاعِ فِي النَّاسِ ، وَإِنْ أَنْتَ غَدَرْتَ بِي
بَعْدَ ذَلِكَ ، لَا تَقُولُ : لَقَدْ وَجَدْتُ الْجُرْدَ غَيًّا سَادَجًا ، سَرِيعَ الْإِنْخِدَاعِ ،
سَهْلَ صِنْدُهُ ..

وَخَرَجَ الْجُرْدُ مِنْ جُحْرِهِ ، لَكِنَّهُ ظَلَّ وَاقِفًا عِنْدَ الْبَابِ ، بَعِيدًا عَنِ
الْغُرَابِ ، فَأَبْدَى الْغُرَابُ دَهْشَتَهُ قَائِلًا :
- مَا الَّذِي يَجْعَلُكَ تَقِفُ بَعِيدًا عَنِّي هَكَذَا ؟ هَلْ مَا زَالَ فِي نَفْسِكَ
مِئِّي خَوْفٌ وَشَكٌّ ؟
فَقَالَ الْجُرْدُ :

- لَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْاقْتِرَابِ مِثْلُ سَوْءِ ظَنِّكَ ، أَوْ شَكِّ فِي نَوَايَاكَ
الطَّيِّبَةِ نَحْوِي ، وَإِنَّمَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنَّي أَعْلَمُ أَنَّ لَكَ أَصْدِقَاءَ ،
وَقَدْ لَا يَكُونُ رَأْيُهُمْ مِثْلَ رَأْيِكَ فِيَّ .. رُبَّمَا كَانَتْ لَهُمْ أَنْفُسُ أَمَارَةٍ
بِالسُّوءِ ، وَهَذَا مَا أَخْشَاهُ عَلَى نَفْسِي ..



فَصَحِكَ الْغُرَابُ مِنْ حَذَرِ الْجُرَذِ وَقَالَ :

- إِنَّ الصَّدِيقَ الْحَقَّ هُوَ مَنْ يَكُونُ لِصَدِيقِ صَدِيقِهِ صَدِيقًا ،
وَلِعَدُوِّ صَدِيقِهِ عَدُوًّا ..

فَقَالَ الْجُرَذُ :

- صَدَقْتَ .. هَكَذَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الصَّدَاقَةُ الْحَقِيقِيَّةُ ..

وَأَصَافَ الْغُرَابُ قَائِلًا :

- وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّنِي لَيْسَ لِي صَدِيقٌ إِلَّا وَسَيَكُونُ لَكَ صَدِيقًا مُحِبًّا ،
وَأَخًا عَزِيزًا تَفْرَحُ بِهِ ، وَتَأْنَسُ إِلَيْهِ ، وَتَقْرُبُهُ عَيْنُكَ ، وَإِنْ مَنْ فَعَلَ
غَيْرَ ذَلِكَ مَعَكَ قَاطَعْتُهُ ..

فَأَمِنَ الْجُرَذُ ، وَتَقَدَّمَ مِنَ الْغُرَابِ مُصَافِحًا .. وَسَعِدَ كُلُّ مَبْهُمَا
بِصُحْبَةِ الْآخَرِ وَصَدَاقَتِهِ ..



وَمَضَتْ أَيَّامٌ ، وَالصَّدِيقَانِ لَا يَفْتَرِقَانِ ..

وَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ الْغُرَابُ لِلْجُرْدِ :

- إِنَّ جُحْرَكَ قَرِيبٌ مِنْ طَرِيقِ النَّاسِ ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ يُصِيبَكَ
بَعْضُ الْأَطْفَالِ بِحَجَرٍ ، وَأَنَا أَعْرِفُ مَكَانًا مُنْعَزِلًا عَنِ النَّاسِ ، وَلِي
فِيهِ صَدِيقٌ مِنَ السَّلَاحِفِ ، وَهُوَ مَكَانٌ قَرِيبٌ مِنْ نَهْرٍ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ
السَّمَكِ ، وَنَحْنُ وَاجِدُونَ هُنَاكَ مَا نَأْكُلُ ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ بِكَ إِلَى
هُنَاكَ ، حَتَّى نَعِيشَ أَمْنِينَ ..
فَقَالَ الْجُرْدُ :

- هَيَّا بِنَا إِلَى هَذَا الْمَكَانِ ،

الَّذِي شَوَّقْتَنِي إِلَى رُؤْيَاهُ ..
سَوْفَ أَقْصُهَا

إِنْ عِنْدِي قِصَصًا طَرِيفَةً
عَلَيْكَ عِنْدَمَا نَصِلُ هُنَاكَ ..



فَأَمْسَكَ الْغُرَابُ صَدِيقَهُ الْجُرَذَ مِنْ ذَيْلِهِ ، وَطَارَ بِهِ فِي الْفُضَاءِ ،
حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْمَكَانِ ، الَّذِي تَعِيشُ فِيهِ صَدِيقَتُهُ السُّلْحَفَاءُ الْبَرِّيَّةُ ..
ثُمَّ أَنْزَلَهُ ..

فَلَمَّا رَأَتْ السُّلْحَفَاءُ الْجُرَذَ فَرَعَتْ مِنْهُ ، لَكِنْ الْغُرَابُ طَمَأَنَهَا إِلَى
أَنْ الْجُرَذَ صَدِيقُهُ ..

فَتَعَجَّبَتِ السُّلْحَفَاءُ وَسَأَلَتِ الْغُرَابَ قَائِلَةً :

- وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ ، وَكَيْفَ تَعْرِفُتَ هَذَا الْجُرَذَ ؟

فَقَصَّ عَلَيْهَا الْغُرَابُ كُلَّ مَا حَدَثَ .. وَلَمَّا سَمِعَتِ السُّلْحَفَاءُ الْقِصَّةَ ،
عَجِبَتْ مِنْ وِفَاءِ الْجُرَذِ وَذَكَائِهِ ، وَاجْتِهَادِهِ فِي تَخْلِيصِ أَصْدِقَائِهِ
مِنَ الْأَسْرِ .. وَرَحِبَتْ بِهِ صَدِيقًا جَدِيدًا .. ثُمَّ سَأَلَتْهُ قَائِلَةً :

- وَلَكِنْ مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ
أَنْ الْجُرَذَانَ لَا تَعِيشُ فِيهَا ؟



فَتَنَهَّدَ الْجُرَدُ فِي ضَيْقٍ وَقَالَ :
- إِنَّ قِصَّتِي طَوِيلَةٌ وَعَجِيبَةٌ وَسَوْفَ أَقْصُئُهَا عَلَيْكُمَا ، كَمَا وَعَدْتُ
صَدِيقِي الْغُرَابَ ..

فَقَالَ الْغُرَابُ وَالسُّلْحَفَاءُ :
- وَنَحْنُ سَتُنْصِتُ بِأَذَانٍ صَاغِيَةٍ ..
وَبَدَأَ الْجُرَدُ يَحْكِي قِصَّتَهُ قَائِلًا :

- كَانَ مَنْزَلِي وَأَنَا صَغِيرٌ ، فِي مَدِينَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ مَدِينَتِكُمُ هَذِهِ ،

وَذَلِكَ فِي بَيْتِ رَجُلٍ نَاسِكٍ مُتَعَبِّدٍ .. وَكَانَ

الْبَيْتُ خَالِيًا مِنَ الْأَهْلِ وَالْأَبْنَاءِ ، فَلَمْ يَكُنْ

فِيهِ سِوَى هَذَا النَّاسِكِ الْمُتَعَبِّدِ ..

وَكَانَ النَّاسِكُ يُحْضِرُ كُلَّ يَوْمٍ

سَلَةً مِنَ الطَّعَامِ ، فَيَأْكُلُ مِنْهَا

عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ .. ثُمَّ يُعَلِّقُ



السَّلَّةُ بِبَاقِي الطَّعَامِ عَلَى جِدَارِ فِي الْبَيْتِ ..
وَكُنْتُ أَطْلُ بِرَأْسِي مِنَ الْجُحْرِ ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْبَيْتِ ، فَأَقْفِزُ
دَاخِلَ السَّلَّةِ ، وَلَا أَتْرَكُ فِيهَا طَعَامًا إِلَّا أَكَلْتُ مِنْهُ ، ثُمَّ أَرْمِي بِالْبَاقِي عَلَى
الْأَرْضِ ، فَتَأْكُلُ مِنْهُ بَقِيَّةُ الْجُرَذَانِ حَتَّى تَسْبَعُ ، وَلَا تَتْرَكُ كَسْرَةً خَبِرَ ..
وَكَانَ هَذَا الْأَمْرُ يُضَايِقُ النَّاسَ كَثِيرًا ، فَأَخَذَ كُلُّ يَوْمٍ يَبْحَثُ عَنْ
مَكَانٍ جَدِيدٍ يُلْقُو فِيهِ السَّلَّةَ بِالطَّعَامِ ، حَتَّى لَا أَصِلَ إِلَيْهَا ، لَكِنِّي
كُنْتُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَبْحَثُ عَنْ حِيلَةٍ جَدِيدَةٍ ، حَتَّى أَصِلَ إِلَى السَّلَّةِ ،
وَأَسْطُو عَلَى كُلِّ مَا فِيهَا مِنْ طَعَامٍ ، فَأُفَرِّقُهُ عَلَى الْجُرَذَانِ ، وَكَانَ
الْجَمِيعُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَصْدِقَائِي وَأَحِبَّائِي ، وَكُنْتُ أَحَبَّ أَصْدِقَائِهِمْ
إِلَيْهِمْ ..

وَسَكَتَ الْجُرَذُ قَلِيلًا ، وَكَانَهُ تَذَكَّرَ شَيْئًا أَلِيمًا ..
ثُمَّ قَالَ :



وَذَاتَ لَيْلَةٍ نَزَلَ بِالنَّاسِكِ ضَيْفٌ ، فَقَدَّمَ لَهُ النَّاسِكُ الطَّعَامَ ، وَآكَلَ
 مَعَهُ ، حَتَّى شَبِعَا ، فَقَامَ النَّاسِكُ وَعَلَّقَ السَّلَّةَ عَلَى الْحَائِطِ .. ثُمَّ دَارَ
 الْحَدِيثَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ النَّاسِكُ لِضَيْفِهِ : مَنْ أَىِّ الْبِلَادِ أَنْتَ ؟ وَرَأَى
 الضَّيْفُ يُحَدِّثُهُ عَنْ بَلَدِهِ ، وَالرَّحَلَاتِ الَّتِي قَامَ بِهَا .. وَكَانَ الرَّجُلُ قَدْ
 طَافَ الدُّنْيَا وَشَاهَدَ عَجَائِبَهَا ، وَاسْتَمْتَعَ بِغَرَائِبِهَا .. وَفِي اثْنَاءِ ذَلِكَ أَخَذَ
 النَّاسِكُ يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ ، حَتَّى يُبْعِدَنِي عَنْ سَلَّةِ الطَّعَامِ ، فَغَضِبَ
 الضَّيْفُ مِنْ هَذِهِ الضُّوْضَاءِ ، وَقَالَ مُخَاطِبًا النَّاسِكَ : أَنَا أَحَدْتُكَ عَمَّا
 سَأَلْتَ عَنْهُ ، وَأَنْتَ تَسْخَرُ مِنِّي وَتَشْوِشُ عَلَيَّ ؟ لِمَاذَا سَأَلْتَنِي إِذْنًا ؟

فَاعْتَذَرَ لَهُ النَّاسِكُ ، بِأَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ ذَلِكَ .. ثُمَّ قَالَ لَهُ :
 إِنَّمَا أَصَفِّقُ بِيَدَيَّ حَتَّى أَخِفَ ذَلِكَ الْجُرْدَ ، وَأُبْعِدَهُ عَنْ سَلَّةِ
 الطَّعَامِ .. إِنَّهُ لَا يَتْرُكُ شَيْئًا فِي الْبَيْتِ إِلَّا أَكَلَهُ



فَقَالَ الضَّيْفُ وَالْعَجَبُ يَمْلَأُ وَجْهَهُ : جُرْدٌ وَاحِدٌ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ
 ذلك ، أَمْ أَنَّ هُنَاكَ جُرْدَانًا كَثِيرَةً ؟
 فَقَالَ النَّاسِكُ : الْبَيْتُ مَلَىءٌ بِالْجُرْدَانِ ، وَلَكِنْ هَذَا الْجُرْدُ الْعَنِيدُ
 هُوَ الَّذِي غَلَبَنِي ، فَعَجَزْتُ أَنْ أَجِدَ لَهُ حِيلَةً ..
 فَأَخَذَ الضَّيْفُ يَفْكُرُ قَلِيلًا .. ثُمَّ قَالَ : هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحْضِرَ لِي
 فَأَسًا ؟ فَأَحْضَرَ لَهُ النَّاسِكُ فَأَسًا ..
 وَقَاطَعَهُ الْغُرَابُ قَائِلًا :
 - وَمَاذَا فَعَلَ الضَّيْفُ بِالْفَأْسِ ؟



فَقَالَ الْجَرْدُ :

- أَخَذَ الضَّيْفُ يَحْفَرُ جُحْرِي ، فَقَفَرْتُ إِلَى جُحْرِ جَارِ لِي وَأَخَذْتُ
أَرْقُبُ مَا يَحْدُثُ .. وَبَعْدَ قَلِيلٍ عَثَرَ الضَّيْفُ عَلَى كَيْسٍ بِهِ مِائَةُ دِينَارٍ ،
فَأَخَذَهَا وَأَرَاهَا لِلنَّاسِكِ قَائِلًا : هَذَا الْمَالُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَقْوِي قَلْبُ
ذَلِكَ الْجَرْدِ ، وَيَجْعَلُهُ يَقْفِرُ إِلَى سَلَّةِ طَعَامِكِ .. لَقَدْ جَعَلَ لَهُ الْمَالُ قُوَّةً ،
وَسَتَرَى أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ الْقَفْزَ إِلَى سَلَّةِ طَعَامِكِ مَرَّةً أُخْرَى ..
فَقَالَتِ السُّكْحَفَاءُ :

- وَهَلْ حَدَّثَ مَا تَوَقَّعَهُ الضَّيْفُ ؟



فَقَالَ الْجُرْدُ :

- وَحَدَّثَ مَا هُوَ أَسْوَأُ مِنْهُ ، فَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ اجْتَمَعَتِ الْجُرْدَانُ حَوْلِي - كَمَا كَانَ يَحْدُثُ مِنْ قَبْلُ - وَطَلَبُوا مِنِّي أَنْ أُحْضِرَ الطَّعَامَ مِنَ السَّلَّةِ ، فَحَاوَلْتُ الْقَفْزَ إِلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ لَكِنِّي فَشَلْتُ ، فَأَخَذَتِ الْجُرْدَانُ تَسْخَرُ مِنِّي ، وَانْصَرَفَ الْجَمِيعُ عَنِّي وَهُمْ يَرْدُدُونَ : إِنَّهُ أَصْبَحَ يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَغُولُهُ .. فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ أَعَزِّ أَصْدِقَائِي تَرَكْتُ بَيْتَ النَّاسِكِ ، وَرَحَلْتُ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي قَابَلَنِي فِيهِ الْغُرَابُ ..

فَقَالَتِ السُّلْحَفَةُ :

- مَرْحَبًا بِكَ صَدِيقًا وَأَخًا لَنَا ..

(تَمَّتْ)

رقم الإيداع : ٣٧٤٠
الترقيم الدولي : ٧ - ٣٤٥ - ٢٦٦ - ٩٧٧

